مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ

(1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَّة ثَقَافِيَّة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ

الشَّهِيد

أَحْمَدُ زَهَانَة -زَبَانَة-

1956 - 1926

منشورات المتحف الوطني للمجاهد

تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2009

ر . د . م . ك : 978-9961-884-11-9
الإيداع القانوني : 2009-5458

المتحف الوطني للمجاهد

ص .ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 – 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

البريد الإلكتروني : Email: mnm@museenat-moudjahid.dz

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

الشهيد

أحمد زهانة - زبانة

1926 - 1956

زُرْتُ خلالَ الصَّيْفِ المَاضِي، صَدِيقِي سَمِير بِمَدِينَةِ وَهْرَان البَاهْيَة.

كَانَتْ فَرْحَتِي عَارِمَةً عِنْدَمَا وَجَدْتُهُ رُفْقَةَ أبيه عمّي إسماعيل المجاهد، الَّذي يَشْتَغِلُ لَحَّامًا، له وَرْشَةٌ فيها الكَثِيرُ من الآلاتِ الخَاصَّةِ بهذه الحِرْفَةِ القَدِيمَة.

طَلَبَ مِنّي سمِيرُ الجُلُوسَ على كُرْسِيٍّ هناك، وأَحْضَرَ لِي كَأسَ عَصِيرِ لَيْمُونٍ بَارِدٍ، وقَالَ لي: اجْلِسْ وتَابِعْ معنا ما نَقُومُ به من أعمالٍ شَيِّقَة.

كان عمّي إسماعيل يَضَعُ الغِطَاءَ الوَاقِيَ من شَرَرِ النَّارِ المُتَطَايِرِ على وَجْهِه، وتَارَةً يَنْزِعُهُ، كان يَقُومُ بتَلْحِيمِ أجزاءِ سَيَّارَةٍ تَضرَّرَتْ من

حَادث خطير، وَقَفْتُ ووَقَفَ سَمِيرٌ بِجَانِبِي يُتَابِعُ حَرَكَاتِ أَبيهِ لتَعلّمِ الحِرْفَة.

قَالَ لي عمّي إسماعيل: إنّ حِرْفَةَ التَّلْحيمِ هذه مَارَسَها الشَّهيدُ أحمد زبانة رحمَهُ اللّهُ. لعلَّكَ سَمِعْتَ به؟

فقُلْتُ: وَمَنْ هُوَ أحْمَد زَبَانَة يَا عَمّي؟

قَالَ: الشَّهيدُ أحمد زبانة، واسْمُهُ الحقيقيّ أحمد زهانة، وُلدَ في مدينة وهران بحَيّ الحمري العَتيق، بمُحَاذَاة الْمَدينَة الجَديدَة. سَبَقَ لي أن عَرَفْتُهُ مَعْرِفَةً جَيّدةً، لأَنّه عَمِلَ معي في هذه الوَرْشَةِ بين عَامَيْ 1948 و 1949.

تَدَخَّلَ سمير قَائلاً لأبيه: احْكِ لنا جَانِبًا من حَيَاتِه، وكيف تَرَعْرَعَ؟

وَضَعَ عمّي إسماعيل آلةَ التَّلْحِيمِ الّتي

كانت في يَده ونَزَعَ النَّظَّارَات الواقيَةَ ثم قَالَ: احميدة وهو يَعْني أحمد، وُلِدَ سَنَةَ 1926، في عَائلَةٍ تَتَكَوَّنُ من ثَمَانيَةَ أفْرَادٍ، هو الرَّابعُ منْهُمْ في التَّرْتيبِ العَائليّ. زَاوَلْنَا الدّراسةَ معًا، وتَحَصَّلنا على الشَّهَادَةَ الابْتدائيَّة باللُّغَة الفَرَنْسيَّة في السَّنَة نَفْسها، لَكنَّهُ غَادَرَ مَقَاعدَ الدّراسَة مُبَكّرًا، ليُزَاولَ مهْنَةً حُرَّةً، ثمّ الْتَقَيْنَا مرَّةً أخْرَى بمَرْكَزِ التَّكْوينِ المهْنيِ، حيث تَكَوَّنَّا مَعاً في اخْتصَاصِ التَّلْحيمِ.

كان لانْضمَامِ أحمد زبانة إلى الكَشَّافَة الإسْلاميَّة دَوْرٌ في نُمُوّ الرّوحِ الوطنيّة الصَّادقَةَ لَدَيْه، زيَادَةً على شُعُوره بما كان يُعَانيه أبْنَاءُ وطنِهِ من قَهْرٍ وظُلْمٍ واحْتقَارٍ.

كانت هذه العَوَاملُ وَرَاءَ انْضمَامِهِ إلى صُفُوفِ الحَركَةِ الوطنيَّةِ عَامَ 1941.

وتَطَوَّعَ زبانة لنَشْرِ مَبَادئِ الحَركَة، وغَرْسِ أفْكارِها في الوَسَطِ الشّبَابيّ، وفَضْحِ جَرَائِمِ الاسْتِعْمَارِ الفرنسيّ.

وبعد أن أثْبَتَ أهْليَّتَهُ في المَيْدانِ العَمَليّ، وبَرْهَنَ على مَدَى شَجَاعَته وصَلاَبَته، اخْتَارَتْهُ المُنَظَّمَةُ الخَاصَّةُ (الجَنَاحُ العَسْكَرِيُّ) لحَركَة الانْتصَارِ للحُرِّيَات الدّيمقراطيّة (M.T.L.D) ليَكُونَ عُضْواً فيها.

وبفَضْلِ خبْرَته، تَمَكّنَ من تَكْوينِ خَلاَيَا للمُنَظَّمَةِ بالنَّوَاحِي التي كان يُشْرِفُ عليها.

وَقَدْ كَانَ منْ بَيْنِ المُشَارِكِينَ فِي عَمَليَّةِ اقْتِحَامِ بَرِيدِ وَهْرَان، فِي سَنَةِ 1949.

ازْدَادَ نَشَاطُهُ السِّيَاسِيُّ وتَحَرُّكَاتُهُ اللاَّفتَةُ للانْتِبَاهِ، ممّا أثَارَ انْتِبَاهَ السُّلُطَاتِ الاستعماريَّةِ

التي لم تَتَوانَ في إلْقَاء القَبْض عليه وتَقْديمه للمُحَاكَمَة. لقد حُكمَ عليه بالحَبْس لمُدَّة ثَلاَثَ سَنَوَات، وبالنَّفْيِ من المدينة لُمدّة ثَلاَث سَنَوَاتٍ أخْرى؛ قَضَاها بين مستغَانم ومعَسْكَر والقصر، وبَقيَ تَحْتَ مُرَاقَبَة الإدارَة الاسْتعْماريَّة ومُتَابَعَتِهاَ لتَحَرُّكَاته.

ورغْم ذلك، رَاحَ يَعْمَلُ مع ثُلَّةٍ من رفَاقه للإعْدَاد للثّوْرَة، بَعْدَ أن عَيَّنَهُ العربي بن مهيدي مسْؤولاً عَنْ نَاحيَة زهانة، حيث كَوَّنَ أفواجًا في كلٍّ من زهانة ووهران، ونَوَاحِيهِمَا.

وتَجْسيداً للأوَامر التي تَلَقَّاها، عَقَدَ اجْتماعًا بزهانة حيثُ الْتَقى بابن عبد المالك رمضان، وكان هذا اللّقَاءُ مَحَطَّةً دقيقَةً حَدَّدَتْ له المَهَامَّ التي كانت تَشْمَلُ هَيْكَلَةَ الأفْوَاجِ وَتَدْرِيبَهَا واخْتِيَارَ العَنَاصِرِ المُنَاسِبَة، وتَحميلَها

مَسْؤولِيّةَ قيادة الرِّجَال، وزيارَةَ المَواقِعِ الاسْتراتيجيَّة لاخْتيَارِ الاماكنِ الّتي يُمْكِنُ جَعْلُهَا مَرَاكزَ للثَّوْرَة.

ونَجَحَ زَبانة في هَذه المُهمَّة، وكَلَّفَ الأفْوَاجَ بِجَمْعِ الاشْتِرَاكَات لشِرَاء الأَسْلحَة والذَّخيرَة، وشَارَكَ بمَعيَّة ابن عبد المالك رمضان في عَمَليَّات التَّدْريب العَسْكَريّ، وكَيْفيَّات نَصْبِ الكَمَائِنِ، وشَنِّ الهُجُومَات، وصِنَاعَةِ القَنَابِل.

وبتَاريخ 30 أكتوبر 1954، حَضَرَ الاجْتِمَاعَ الّذي عَقَدَهُ محمّد العربي بن مهيدي، الذي أخْبَرَ الجَميعَ بتَاريخِ انْدلاعِ الثَّوْرَة وتَحْديدِ الأهْدَافِ التي يَجِبُ مُهَاجَمَتُها لَيْلَةَ أوَّلِ نوفمبر.

وفي 31 أكتوبر 1954، عَقَدَ زبانة اجْتِمَاعًا بأفْوَاجِهِ، تَمَّ خِلاَلَهُ تَوْزِيعُ المَهَامِّ، وتَحْدِيدُ

الأهْدَاف، واخْتيَارُ مَكَانِ اللّقَاءِ بعد تَنْفِيذِ المُهِمَّاتِ بجَبَلِ القعدة.

قَالَ عمّي إسماعيل، وكُلُّهُ فَخْرٌ واعْتزَازٌ: وجَاءَ اليَوْمُ المُبَارَكُ، وجَاءَتِ التَّعْلِيمَاتُ بِالمُبَادَرَةِ بِالهَجَمَات.

تَمَّ تَنْفيذُ العَمَليَّات الهُجُوميَّة الأولَى على الأهْدَاف الفَرَنْسيَّةَ المُتَّفَق عليهَا. وَبَعْدَ ذَلكَ اجْتَمَعَ زبانة بقيَادَةَ الأفْوَاجِ وأعْضَائها المُكَلَّفينَ بتَنْفيذ العَمَليَّات، لتَقْييم ما أنْجزَ، والتَّخْطيطِ لما يَجِبُ القيَامُ به في المَرَاحِلِ المُقْبلَة.

ومن العَمَليَّات النَّاجحَة التي قَادَها زبانة عَمَليَّةُ (لاماردو) في 04 نوفمبر 1954، ومَعْرَكَةُ غار بوجليدة في 08 نوفمبر 1954، التي وَقَعَ فيها أسِيراً بَعْدَ أن أصِيبَ برَصاصَتَيْن.

تَنَهَّدَ عمّي إسماعيل تَنَهُّداً عَميقًا، ثمّ قَالَ:

نُقلَ الشَّهيدُ إلى المُسْتَشْفَى العَسْكَري بوهران، ومنه إلى السِّجْن. وفي 21 أبريل 1955، قُدِّم للمَحْكَمَة العَسْكَريَّة بوهران، التي حَكَمَت عليه بالإعْدَام. وفي 3 ماي 1955، نُقلَ إلى سجْن بربروس بالجزائر، وقُدّمَ ثَانيةً للمَحْكَمَة التي أيَّدَت الحُكْمَ السَّابقَ، الصَّادرَ عن مَحْكَمَة وهران.

وفي يَوْمِ 19 جوان 1956، وفي حُدُود السَّاعَة الرَّابعَة صَبَاحًا، أخذَ احميدة من زنْزَانَته وَسيقَ إلى المَقْصَلَة، وهو يُرَدّدُ بصَوْت عَال: "إنَّني مَسْرُورٌ جدّا أنْ أكُونَ أوَّلَ جَزَائريّ يَصْعَدُ المقْصَلَةَ. بوجودنا أو بغَيْرنا تَعيشُ الجزائر حُرَّةً مُسْتَقلَّةً. ثمّ كَلَّفَ مُحَاميه بتَبْليغ رسَالَةٍ

إلى أمّه. كان لهذه العَمَليَّة صَدَاهَا الواسعُ على المُسْتَوَى الدَّاخليّ والخَارجيّ؛ فعلى المُسْتَوَى الخارجيّ أبْرَزَت الجَرَائدُ في صَفَحَاتها الأولى صُورَةَ الشَّهيد مع تَعَاليقَ وَافيَةٍ حَوْلَ حَيَاته. أمّا دَاخليّا، فقد قَامَتْ في اليَوْم المُوَالِيّ، أيْ 20 جوان 1956، جَمَاعَةٌ من المُجاهدينَ بنَاحيَة الغَرْب بعَمَليَّات فدَائيَّة جَريئَة، أَلْحَقَتْ بالعَدُوّ الفَرنسيّ وعُمَلاَئه هَزَائمَ نَكْرَاءَ.

نصّ رسالة الشّهيد زبانة إلى أمّه:

"أقاربي الأعزّاء، أمّي العزيزة؛

أَكْتُبُ إلَيْكُمْ ولَسْتُ أَدْري أَتَكُونُ هذه الرّسَالَة هيَ الأَخيرَةُ؟ واللَّهُ وَحْدَهُ أَعْلَمُ. فَإنْ أَصَابَتْني مُصيبَةٌ، كَيْفَمَا كَانَتْ، فلا تَيْأَسُوا منْ رَحْمَة اللّه، إنَّمَا المَوْتُ في سَبيلِ اللّه حَيَاةٌ لا نِهَايَةَ لها، وما المَوْتُ في سَبيلِ الوَطَنِ إلاّ

وَاجبٌ ، وقد أَدَّيْتُمْ وَاجبكُـــم ، حيث ضَحَّيْتُم بأَعَزّ مَخْلُوقٍ عِنْدَكُم . فَلاَ تَبْكُونِي بَلْ افْتَخِرُوا بِي .

وفي الخِتَامِ ، تَقَبَّلُوا تَحِيَّةَ ابْنٍ وأَخٍ كان دائِمًا يُحِبكُم ، وَكُنْتُم دَائِمًا تُحِبُّونَه ، ولَعَلَّها آخِرُ تَحِيَّةٍ مِنّي إليكم ، وإنّي أُقَدّمُها إِلَيْكِ يا أُمّي ، وإلَيْك يا أَبِي ، وإلى نُورَة والهَوَّارِي وحَلِيمَة والحَبيب وفَاطمَة وخَيْرة وصَالِح ودينيَّة ، وإليك يا أخِي العَزِيز عبد القادر ، وإلى جَمِيعِ من يُشَارِكُكم أَحْزَانَكم .

اللَّه أَكْبَرُ وهو القَائِمُ بالقِسْط وَحَدَهُ .

ابْنُكم وأَخُوكم الذي يُعَانِقُكم بِكُلِّ قُوّة .

احميدة".

سَكَتَ عمّي إسماعيل فَتْرَةً طَوِيلَةً، وكأَنَّهُ يُرِيدُ أن يَبْكِي، ولكنّه تَمَالَكَ نَفْسَهُ، ثمّ تَلاَ قَوْلَهُ عَزّ وَجَلَّ:

« وَلاَ تَحْسِبَنَّ الّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا، بَلْ أَحْيَاءٌ، عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ » صدق الله العظيم.

إيه ... يا الشَّهيد احميدة .. مازلْتَ حَيّا في نُفُوسِنا ولَمْ تَمُتْ كما ظَنَّ الاسْتِعْمَارُ.

لقد كُنْتَ مثَالاً في التَّضْحيَّة والفداَء، حيث قُمْتَ بِإبَاءٍ وشُمُوخٍ تَتَحَدَّى المِقْصَلَةَ والقَائِمِينَ عليها.

ولِلَّه دَرُّ الشَّاعرِ مفدي زكرياء الّذي خَلَّدَ هَذَا الشَّهِيدَ في قَصِيدَتِهِ المَشْهُورَةِ:

قَامَ يَخْتَالُ كَالْمَسِيحِ وَئِيداً
يَتَهَادَى نَشْوَانَ، يَتْلُو النَّشِيدَا

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار